البراجماتية بين التسامح والتعددية

الدكتور/ هشام سليمان صالح

المدرس بقسم العلوم الاجتماعية – كلية التربية

جامعة الإسكندرية

تمهيـــــــد:

يطلق على الفلسفة البراجماتية (فلسفة العمل) أو (فلسفة التطبيق العملى) ويرجع الأصل فى تسميتها إلى الفيلسوف الأمريكى "تشارلس سانرز بيرس"[*]**Peirce**(١٨٣٩-١٩١٤م) وهذه التسمية مأخوذة عن الكلمة اليونانية **Pragma** ومعناها العمل أو الفعل، وأحياناً نترجمها إلى اللغة العربية بالفلسفة الذرائعية.

سوف نتاول موضع (البراجماتية بين التسامح والتعددية) باستخدام المنهج التاريخى التحليلى النقدى المقارن ،والذى تتضح إشكاليته البحثية فى العلاقة بين التسامح والتعددية بداخل المذهب البراجماتى وتطوره الفكرى. وخذا من محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- هل هناك علاقة بين التعددية والتسامح ؟

٢- هل توجد هذه العلاقة فى إطار الفلسفة البراجماتية؟

٣- هل كانت هذه العلاقة من سمات تطور المذهب البراجماتى؟

يرى "جود" ***Good*** أن المشتغلين بالفلسفة وبخاصة البراجماتية مهتمين بتاريخ الفلسفة أكثر من الفلاسفة التحليلين كما وضح "رورتى" ***Rorty***[**](١) لم يوافق "جود" على قول ***Capps***(٢) أن نجم البراجماتية قد آفل بعد الحرب العالمية الثانية ، لأنه يشك أن هذه أفضل طريقة لموقف المذهب البراجماتى فى الفلسفة الأمريكية خلال هذه الفترة .

---

[*] بيرس (١٨٣٩-١٩١٤م) فيلسوف وعالم امريكى يطلق عليه أحياناً (ابو البراجماتية) له أعمال كثيرة فى المنطق وفى الأخلاق وفى الرياضيات، وحصل على الزمالة بالأكاديمية الأمريكية للأداب والعلوم عام ١٨٦٧وعمل بجامعة ***Johns Hopkins*** جون هوبكينز عام ١٨٧٩م.

[**] رورتى (١٩٣١-٢٠٠٧) فيلسوف أمريكى من البراجماتيين المعاصرين له الكثير من المؤلفات من أهمها الفلسفة ومرآة الطبيعة" ***Philosophy and the Mirror of Nature*** عام ١٩٧٩، والموضوعية والنسبية والحقيقة ***Objectivity, Relativism, and Truth*** عام ١٩٩٠م.

Edward craig,the shorter rotledge encyclopedia of philosophy,p774,p914

يذكر "جود "*Good* ان "جروس " ***Neil Gross*** قام بدراسة مقارنة حول "كم" المقالات التى قدمت عن البراجماتية والفلاسفة البراجماتيين وأعمالهم كما يتضح فى مناهج الفلسفة فى الجامعات التى تدرس المذهب البراجماتى وانتهى جروس إلى أن هذه الأعمال والاهتمام بالمذهب البراجماتى لم يتأثر خلال فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، وهذه الدراسة لم تثبت فقط أن الاهتمام بالبراجماتية لم يتراجع خلال تلك الفترة ولكن أيضًا أن إزدهار الحيوية الحديثة فى المذهب البرجماتى لم تكن كمية على الأقل خلال الأربعين سنة الماضية، فتواجد المذهب البراجماتى الكمى فى الفلسفة الأكاديمية لم يكن كبيراً بشكل ملحوظ.(٣)

جذور الفلسفة البراجماتية:

البراجماتية فلسفة أمريكية أصيلة، فعندما تسمع كلمة براجماتية يخطر ببالك الفكر الأمريكى لأنهما مرتبطان ارتباط الموصوف بالصفة، فهذه الفلسفة تصور المجتمع الأمريكى الذى تتحدد مكانة الفرد فيه لا على أساس الأصل بل على أساس ما يقوم به من عمل وإنتاج . لهذا أصبح الفكر عندهم مرتبطاً بالعمل، وبرزت الفلسفة من أفكار قرأها فى كتب أو مراجع يستعان بها ، وأصبحت الفلسفة بهذا الشكل ديموقراطية تعيش بين الناس وتختلط بهم وبمشكلاتهم واختفت الارستقراطية الفكرية التى كان يحيا فلاسفتها فى أبراج عالية مع أفكارهم حيث ينظرون إلى الوجود من علٍ ويرونه حسب فكرة فى أذهانهم .

هذه الفلسفة العملية أو البراجماتية ليست نبتاً جديداً متقطع الصلة بالماضى فإن أشهر أعلامها وهو "وليم جيمس" ***James***[*] (١٨٤٢-١٩١٠م) يذكر عنها فى أحد كتبه أنها (اسم جديد لطريقة قديمة فى التفكير) وهو يقصد من هذا أن الفلسفة البراجماتية ترجع فى أصلها إلى الفلسفة الإنجليزية. فقد كانت الاتجاهات الفكرية فى الولايات المتحدة وثيقة الصلة بالفلسفة الإنجليزية حتى يمكن القول إنها كانت صدى لهذه الفلسفة فى أول

[*] جيمس(١٨٤٢-١٩١٥م) فيلسوف أمريكى وعالم نفس ،من مؤسسى المذهب البراجماتى،ومن أهم مؤلفاته " مبادئ علم النفس" ***The Principles of Psychology*** (١٨٩٠) و"انواع من التجربة الدينية" ***The Varieties of Religious Experience*** (١٩٠٢)

الأمر، وقبل أن يتضح الطابع الأمريكى المميز، وعندما ظهرت الفلسفة الأمريكية البراجماتية ظلت متأثرة بالفلسفة الإنجليزية فى اتجاهها نحو الواقع واعتمادها على التجربة الحسية ولكن الفرق بينهما كان كبيراً، إذ أن اهتمام الفلسفة الإنجليزية ينصب على المعرفة وتحليل العلاقة بين الأشياء الخارجية وما تطبعه على حواسنا من آثار بينما ينصب اهتمام البراجماتية على النتائج العملية المترتبة على المعرفة، فالفيلسوف الإنجليزى يسأل: (كيف نشأت المعرفة؟) بينما يسأل الفيلسوف البراجماتى الأمريكى وليم جيمس: (ما النتائج التى تترتب على هذه الفكرة فى عالم الواقع؟)(٤)

كانت التجريبية الإنجليزية تهتم بالنتائج فى مجال العلم وفى مجال الأخلاق فمقياس صحة الفرض العلمى هو ما يترتب عليه من نتائج، فإذا كانت نتائجه متفقة مع الواقع كان سليماً، وإلا اعتبر خاطئاً. أما بالنسبة للأخلاق فإن الفعل الفاضل عندهم هو الفعل المؤدى إلى نتائج عملية تسعد الناس. ولكن البراجماتية وسعت دائرة التطبيق العملى فلم تقصره على ميدان العلم والأخلاق فقط بل جعلته يتسع ليشمل مجال التفكير كله.

يرجع الفضل فى وضع أساس الفلسفة البراجماتية كما ذكرنا إلى "بيرس" ***Peirce*** وقد سار كل من "وليم جيمس" ***James*** و"جون ديوى"* ***Dewey*** (١٨٥٩-١٩٥١م) على نهجه مع شئ من التعديل عند كل منهما. وقد كان "بيرس"***Peirce*** يريد بالمنهج البراجماتى أن يسير على أساس ما يجرى فى معامل العلوم الطبيعية، فإن نتائج التجارب فى هذه المعامل عامة ويتفق عليها الناس جميعها، ولهذا أراد أن تكون نتائج المعرفة الإنسانية عامة ومتفقاً عليها بين كل الناس لتكون جديرة باسم معرفة. ولكن " جيمس" ***James*** و"ديوى" ***Dewey*** أدخلا النتائج الذاتية، فأصبح من الممكن مثلاً القول بأن عقيدة ما صحيحة لأنه يترتب عليها نتائج عملية عند الشخص الذى يعتنقها، ومن هذه النتائج الإحساس الشخصى بالرضا والسعادة.

---

* ديوى(١٨٥٩-١٩٥١م) فيلسوف أمريكى ومصلح إجتماعى ساعد فى تطوير المذهب البراجماتى، قام بالتدريس بجامعة ***Johns Hopkins*** جون هوبكينز وقام بالتدريس بجامعة ميتشجن فى الفترة(١٨٨٤-١٨٨٨م)، وجامعة شيكاجو، له أعمال كثيرة من أهمها "دراسات فى النظرية المنطقية" ***Studies in Logical Theory*** عام ١٩٠٣م. ***http://plato.stanford.edu/entries/dewey-moral/***

يرى رسل* ***Russell*** (١٨٧٢-١٩٧٠م) كان لاهتمام "وليم جيمس ***James*** "الفلسفية جانبان، أحدهما: علمى والآخر دينى. فى الجانب العلمى أمدت دراسة الطب أفكاره بميل نحو النزعة المادية، ومع ذلك، فقط كانت عواطفه الدينية تكبح جماحها. وكانت مشاعره الدينية مشاعر بروتستنية للغاية، جد ديمقراطية ،ومفعمة للغاية بالحماس للود الإنسانى.(٥)

ويذكر "شنيدر"***Schneider***** أن وظيفة الذهن تبعا لجون ديوى هى إعادة توجيه وجوه النشاط بناء على تنبؤ بنتائجها. إن الذهن هو ببساطة الطبيعية وتشق طريقها وتتملس خطاها فى الظلام بضوئها الخاص، محاولة أن تتعرف على ذاتها، وان تعرف ما تستطيعه وما لاتستطيعه. وباختصار، إن عمل الذهن الإنسانى له مغزاه للطبيعة وللإنسان على حد سواء، فالعقل ليس مادة الطبيعة وليس هو بنيتها الأولى، وإنما العقل هو نمو طبيعى، هو شكل الحياة، لكن الحياة نفسها تظل وجوداً متصدعاً بين وجودات أخرى.(٦)

يمكننا أن نقول قبل أن ندخل فى تناول موضوع البحث الأساس هو فكرة التسامح ***Tolerance***** فى الفلسفة البراجماتية أن هذه الفلسفة تبلورت تدريجياً لكى تلبى حاجات المجتمع الأمريكى الوليد ولكى ترد على الأسئلة المطروحة عليه. بهذا المعنى فإن الأيديولوجيا الأمريكية تشكلت قبل الفلسفة الأمريكية دون أن يعنى ذلك ان الفلسفة هى مجرد أيديولوجيا، ولكن الفلسفة تتجاوز الايديولوجيا السياسية من حيث انها أكثر عمقاً وشمولية. كانت أمريكا تشكل، فى الأساس، والأرض الموعودة للحرية، والمساواة، والاخاء، فمعظم المهاجرين الذين ذهبوا إليها وشكلوا الأمة كانوا فارين من بلادهم

---

* راسل (١٨٧٢- ١٩٧٠م) فيلسوف انجليزى من مؤسسى الفلسفة التحليلية له اعمال فى المنطق والرياضة من اهمها"مبادئ الرياضيات" ***The Principles of Mathematics***،عام ١٩٠٣ "مبادئ اعادة البناء الاجتماعى" , ***Principles of Social Reconstruction*** *عام ١٩١٦*

http://plato.stanford.edu/entries/russell/#RWAP

** هربرت شيندر **Schneider**(١٨٩٢-١٩٤٨م) هو أستاذ الفلسفة بجامعة كلمبيا***Columbia*** ومن أهم مؤلفاته **M*orals for Mankind: The Paul Anthony Brick Lecture*s** (أخلاق البشر : محاضرات بول أنتونى بريك) عام ١٩٦٠م،***A History of American Philosophy*** *(تاريخ الفلسفة الأمريكية) عام١٩٦٣م*

http://philosopedia.org/index.php/Herbert_W._Schneider

بسبب القمع أو الاضطهاد الدينى الفكرى والدينى. وحتى عندما هربوا من بلادهم بسبب الجوع أو بحثاً عن لقمة العيش فى هذه الأرض الموعودة، فإنهم كانوا يهربون هامشيين أو مهمشين ، فإنهم قبلوا بحق الاختلاف والتسامح مع الآخرين الذين يختلفون عنهم فى العرق، أو اللون، أو فى الدين.

* التسامح البرجماتى:

التسامح هو رد الفعل البرجماتى الذى يعبر عن الحاجة العملية إلى الحياة مع الآخرين الذين لديهم مفهوم مختلف عن الخير. وتولد التسامح من إدراك أنه فى الممارسة لايمكن القضاء على التعدد سواء عن طريق الحجج الفلسفية أو القوى السياسية. ونحن نرى هذا التوجه البراجماتى للتسامح فى تاريخ المناقشات حول التسامح والتيارات المعاصرة. وعلى سبيل المثال ناقش "لوك" ***Lock*** حيث أنه لايمكن تحقيق الصواب عن طريق الجبر بالقوة فإن على الدولة ان تتحمل الإختلاف.(٧) وأصبح إتجاه لوك أكثر وضوحاً مع "مل" ***Mill***[*] فى القول بوجود حاجة عملية للتسامح مع الآراء المختلفة.(٨)

يذهب "فيلا" ***Fiela***[*] إلى أن التسامح هو رد فعل برجماتى للواقع الملموس الذى يعكس وجود التعدد.وواقع الأشياء بالنسبة لنا اليوم هو الاختلاف ***Diversity*** ؛ فالعالم يحتوى على إناس مختلفين لديهم أفكارهم الخاصة عن الخير. وواقع التعدد يقودنا إلى حاجة عملية وهى تسامحنا معه (تحملنا له). وأغلب المناقشات الحديثة حول التعدد تصل إلى السامح بواسطة الحجج البرجماتية.

---

[*] جون استيورات مل(١٨٠٦–١٨٣٧) فيلسوف بريطانى له أعمال فى فلسفة الأخلاق وفلسفة السياسة قام بتطوير المذهب النفعى بعد بنتام ***Bentham*** ، له الكثير من الأعمال من أهمها"عن الحرية" ***On Liberty*** *عام ١٨٥٩م* ،و*"النفعية"* ***Utilitarianism*** *عام ١٩٦١م.*

http://plato.stanford.edu/entries/mill/#MilWor

[*] "فيلا" **Fiela** هو استاذ الفلسفة بجامعة كليفورنيا، ومن أهم مؤلفاته "التسامح والبرجماتية" عام ٢٠٠٢م

Toleration and Pragmatism The Journal of Speculative philosophy, New series, Vol.16,No.2,published by Penn State university Press,2002,

أن أفكار مثل التعددية "***Pluralism***" والتسامح هى أفكار قريبة جداً من البراجماتيين الأمريكيين. فهذه الأفكار نبتت من البراجماتية فيما يتعلق بقدرتنا المتواضعة على صنع أحكام عن الخير فى الحياة الإنسانية. والبراجماتية أدركت أيضاً كواقع أساسى. فكما لاحظ "وليم جيمس" فى مقالته "عن العماء المعين فى الكائنات الإنسانية": "بالرغم من أننا نميل إلى اعتقاد أن وجهة نظرنا عن العالم هى وجهة النظر الصحيحة فكثيراً ما نجد أننا ببساطة لم نفهم بشكل مناسب وجهة نظر هؤلاء الذين نميل إلى نقدهم" . كما وضح "جيمس" فأننا سوف نستمر فى مواجهة طرق الحياة المتعددة. وإذا أدركنا هذا الواقع سوف نصل إلى التسامح. وهذا يقودنا إلى تحمل واحترام ومسايرة هؤلاء الذين يروا أنهم سعداء بطريقتهم الخاصة فى الحياة التى لاتضرنا؛ حتى لوكانت هذه الطرق تبدو غير مناسبة بالنسبة لنا.[٩] وأدرك "جيمس" ***James*** أن واقع التعدد يتطلب التسامح . ومع ذلك نجد أن فكرة التعدد بالرغم من أنها مناسبة إلا أنها ليست فكرة بسيطة فى قلب البرجماتية، تدور حول ماهو المتفق عليه بين الفلاسفة البرجماتيين. فمن ناحية نجد "ريتشاد رورتى" ***Rorty***(١٩٣١-٢٠٠٧م) يصل من استنتاج " جيمس" إلى رأى يميل إلى الفردية والنسبية.[١٠] ومن ناحية أخرى أن "ديوى" يحاول أن يصيغ فكرة "جيمس" وتداعياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية فى حججه ضد الفردية المتطرفة. فمن وجهة نظر "ديوى" أن رفض الفردية يقودنا إلى التخلص من المجال الجمهورى ونقص الذكاء الاجتماعى. فنحن نحتاج من وجهة نظره إلى غرز التسامح فى المجتمع، بدلاً من مهزلة الفردية (الخصوصة).

يرى "فيلا" ***Fiela*** أننا يجب أن نكون حذرين تجاه دفع التسامح بعيداً جداً فى طريق المهزلة الفردية أو فى طريق الذكاء الاجتماعى العلمى. فالتسامح كفكرة برجماتية هو طريقة مفيدة للتعامل مع واقع التعدد فى العالم المعاصر. وهذه الاستجابة البرجماتية مطلوبة لأننا لايمكننا أن ندعم التسامح بالنظريات الميتافيزيقية أو الأخلاقية. لأن واقع التعدد يشير إلى عدم اتفاق (خلاف)مستمر حول تلك النظريات. فوجهة النظر البرجماتية توضح لنا أن ماهو مطلوب ليس وجهة نظر عن ميتافيزيقا الكائن الإنسانى ، ولكنها تعبر

عن إدراك عملى لواقع التعدد وحاجة الإنسان الأساسية للتعايش الحر والسلمى مع الأخر.

يذهب "فيلا" ***Fiela*** إلى أنه بدون شكل ما من اليقين سوف يتحول التسامح والتعددية إلى نسبية. تنشأ الحاجة إلى التسامح السياسى من واقع أن التيارات المتعارضة يمكن تبريرها على أنها معقولة وفقاً لمعاييرها الداخلية. وهذا يتركنا مع الصراعات حول تعددية معقولة (عقلانية)؛ فكل من التيارات المتعارضة معقول وفقاً لشروطه وإلى الحد الذى يدرك به عقلانية التيارات الأخرى. وبالتالى فمن وجهة نظر "رولز"***Rawls*** يكون التعاون بين هذه التيارات المتعارضة مهمة سياسية عملية .[١١] ووجد "والزر" ***Walzer***[*] أن مبادئ العدالة هى فى ذاتها متعددة فى الشكل. على عكس "رولز" الذى يريد أن يقول أن هناك مبادئ محددة للعدالة. والمشكلة عند "والزر" هى منع هذه التعددية من الإنزلاق إلى النسبية.[١٢]

يصرح "والزر"***Walzer*** : "أن فكرة اختياراتنا لايتم تحديدها بواسطة مبدأ كلى واحد وأن الاختيار الصحيح هنا ربما لايكون من الصحيح بشكل مشابه هناك هى فكرة نسبية".[١٣] أن الصعوبة هنا تتمثل فى أنه اذا كان "والزر" مخلص بالنسبة لمذهبه النسبى، فما يترتب على ذلك أنه لن يكون هناك سبب حقيقى يجعلنا نقبل فكرة التسامح التى يقدمها. فإذا كانت وجهة نظره كلها نسبية فليس هناك سبب غير نسبى يجعلنا نقبل القيود التى يضعها على القوى السياسية. وبالأحرى ينبغى أن يناقش" والزر" بالقول أن هناك قيمة واحدة على الأقل غير نسبية (وهى التسامح والتعايش السلمى) حتى إذا كانت مبررة بطريقة برجماتية بحتة بواسطة الحاجة التاريخية الماسة إلى التعايش السلمى بين هؤلاء الذين لايستطيعوا الإجتماع حول مفهوم واحد للخير.

---

[*] والزر فيلسوف أمريكى ولد عام ١٩٣٥م ، له أعمال فى الفلسفة السياسية ، وفلسفة الأخلاق ، عمل بجامعة ***Princeton*** برينستون ومن اهم اعماله"الفعل السياسى" ***Political Action*** عام ١٩٧١م و ***On Toleration*** "عن التسامح" عام ١٩٩٧م

http://www.sss.ias.edu/people#walzer

دافع "رولز" على عكس "والزر" عن مجموعة من المبادئ غير النسبية بداخل التعدد يمكن تدعيمها. فالبرغم من أنها مبادئ سياسية فأن مبادئ العدالة ليست نسبية، وضح "رولز" هذا بواسطة الإدعاء بأن التعددية يجب أن تكون "معقولة" ***Reasonable*** وهذا يعنى أن الأفراد المتسامحين مع بعضهم البعض يجب أن يعترفوا على الأقل بأن كل منهم لديه أسباب للتمسك بأفكاره حتى اذا اختلفوا. وخلال مناقشة فكرة "المعقول"، افترض رولز أن الأفراد المتعقلين ينبغى أن يكونوا:

١- على استعداد أن يناقشوا أفكار بعضهم البعض.

٢- على استعداد أن يتبادلوا أفكار بعضهم البعض.

٣- على استعداد أن يقبلوا الاختلاف بين ما أطلق عليه رولز (أعباء الحكم).

والنقطة الثالثة تعنى أنه على الأفراد أن يتحملوا الاختلاف على ما يكون دليل، والاختلاف حول ما هى القيم المعيارية والمقدار الذى ستقدمه للدليل، والضبابية حول الشروط والواقع الأساسى للقيم المتضاربة حتى بداخل حياة الفرد الواحد. وبالرغم من كل هذا التعدد وعدم التحديد. يدعى "رولز" أننا سوف نكون قادرين على إدراك بعضنا البعض كعقلانيين والأشخاص العقلانيين سوف يكونوا قادرين على أن يصلوا إلى اتفاق حول المبادئ السياسية الأساسية والتى سوف تسمح لنا بالتعاون.

تكمن هذه الفكرة التعددية وراء ذكره "والزر" المضللة حول النسبية. فهو يعترف أن هناك معيار واحد للعدالة وبالتحديد "إعطاء لكل ذى حق حقه" وبالرغم من هذا المبدأ سينتج عنه توزيع مختلف لأناس مختلفين وفقاً لإحتياجاتهم وظروفهم. مع ذلك لايكون نسبية، لأنه لاينكر أن هناك معيار. فهو يقر أن المعيار نفسه يترتب عليه توزيع مختلف. وهذه الفكرة من الأفضل وصفها بالتعددية.

"رولز" و"رورتى" والبرجماتية:

يذهب "فيلا" إلى أن التسامح ينتج عن إستجابة براجماتية للتعدد. بالرغم أن كل من "والزر" ***Walzer*** و"رولز"[*] ***Rawls*** لايصرحوا بوضوح انتمائهم للبرجماتية، إلا أن توجهاتهم تتوسل إلى التأويل من هذا المنظور. فما يعنيه "رولز" عند حديثه عن أفكار الليبرالية السياسية أننا نستخدم هذه الأفكار بيننا حينما نقرر بشكل برجماتى ما نحن على استعداد لتقبله ويقول "رولز" ***Rawls*** بعد ذلك أن نظريته ربما يتم تنقيحها مع الممارسة والتأمل الأكثر. وفى النهاية يرفض "رولز"***Rawls*** بوضوح أن تقدم الليبرالية السياسية نظرية فى الحقيقية. وهكذا أقترح "رولز" بشكل برجماتى: "أننا نستطيع أن نتجنب موضوع الحقيقة عن طريق التحول إلى الأفكار السياسية للتعقل والتسامح فيقول :" أن المعقول يعبر بالطبع عن موقف متأمل للتسامح، مادام يدرك أعباء الحكم وهذا يؤدى بدروه إلى حرية الوعى وحرية الفكر".(١٤)

يرى "فيلا" ***Fiala*** أن الليبرالية السياسية تسعى بشكل برجماتى إلى تسهيل إقامة بناء جماعى بين التيارات عن طريق التسامح مع الليبرالية بدون التأكيد على أن هذه اليبرالية تشير إلى الخير. وبالتالى تكون مناقشة رولز مثل مناقشة "والزر" تتلائم بشكل جيد مع التقليد البرجماتى فى التفكير فيما يتعلق بالتسامح والذى يمتد من "وليم جيمس" إلى "رورتى" و"لاكاس". بالرغم من أن "رولز" حاول أن يتجنب الانزلاق فى مأزق المهزلة (سخرية القدر) الليبرالية (***Liberal ironism***)، الذى وقع فيه "رورتى"، وأدعى "رورتى" أنه قد يكون هناك إجماع عام أو مشترك بالرغم من واقعية الموقف الفردى (الخاص) الهزلى. ولسوء الحظ يبدو أنه ليس هناك طريقة لبناء أسس لتنمية الإجماع العام، اذا لم يكن الحكم الفردى مقيد بمُثل للتعقل العملى. ويقول رورتى: "ليس من المهم وفقاً

---

[*] رولز (١٩٢١-٢٠٠٢م) فيلسوف سياسى أمريكى ،قام بالتدريس بجامعة هارفرد،من اهم مؤلفاته "الليبرالية السياسية" ***Political Liberalism*** عام ١٩٩٣م،"*العدالة على انها مساواة*" ***Justice as Fairness*** عام ٢٠٠١م.

http://plato.stanford.edu/entries/rawls/

لأهداف الشعب إذا كان لكل فرد لغة مختلفة مادام على استعداد أن يطلع على أفكار الأخرين ويطلع الأخرين على أفكاره". الاختلاف الحاسم بين "رورتى" و"رولز"هو أن "رولز" افترض أن الأفراد يلتزمون باتجاه مدرك ويمكنهم الوصول إلى اتفاق عام حول شروط التعاون فى مساحة إجتماعية مشتركة. فى حين أن "رورتى" يلزم الأفراد بأى التزام تجاه تيار مدرك، ففكرة "رولز"عن المعقول تسمح بفرصة أكبر للاتفاق أكثر من الفرصة التى تقدمها فكرة رورتى عن الهزلية الفردية .

يجد "فيلا"***Fiala*** أن ***Rawls***"رولز" يتبع خطى "ديوى" البرجماتية حينما قدم حجة قوية حول نوع العقلانية العامة لرورية العمل السياسة الجدية ، فالافراد فى المجال العام يجب أن يلتزموا بأعباؤ الحكم. فمشروع "رولز" البرجماتى يمكن أن يتطور أكثر لأنه يطالب بالتزام مشترك بفكرة المتعددة الوسطية المعقول. وهذا ما أطلق عليه " التعددية المعقولة".

التعددية البرجماتية عند "لاكاس":

يذهب "فيلا" إلى أن الفكرة البرجماتية للتعددية ظهرت مؤخراً على يد "لاكاس" ***Lachs***[*]. منوجهة نظره التعددية الطبيعية الإنسانية يربط "لاكاس" بين التعددية والتسامح بشكل واضح ففى كتابه "علاقة الفلسفة بالحياة" يناقش "لاكاس" ثلاث أنواع من الوقائع:– الموضوعية و التقليدية والاختيارية (تعتمد على الاختيار) فالوقائع الموضوعية هى التى نكتشفها فى العالم عن طريق البحث وهى نتائج التجربة مثل " ان الثلج ملمسه ناعم" ، والوقائع هى تلك التى تعتمد بشكل كامل علينا وهى نتائج اختيارنا مثل " أن نسمى الثلج ثلج" ، أما الوقائع الاختيارية فهى وقائع تقوم على نواحى معينة فى العالم فحين أنها تعتمد أيضاً على اختياراتنا مثل" أننا نلعب هوكى الجليد فى الشتاء" فهذا النوع الأخير من الوقائع يعتمد على ملامح موضوعية معينة للعالم ولكنه أيضاً يعتمد على اختيارات تقليدية معينة(فنحن مع العالم الحديث نستطيع أن نلعب هوكى فى الصيف).[١٥]

[*] "لاكاس" هو أستاذ الفلسفة بجامعة **vanderilt** بالولايات المتحدة الامريكية

يرى "لاكاس" أن مفهوم "الشخص" من النوع الثالث للوقائع (الاختيارية) ، ويعترف "رولز" مثل "لاكاس" و "والزر" بتعددية التعريفات المحتملة "للإنسان": فيقول "رولز": "أن هناك نواحى كثيرة لطبيعتنا من الممكن تمييزها بشكل محدد وفقاً لهدفنا ووجهة نظرنا". فهدف "رولز" هو أن يجد إجماع سياسى ما بالرغم من تعددية المعانى التى نجدها بداخل التيارات المختلفة . فهذه حركة برجماتية يحاول بها أن يتجنب الانزلاق إلى النسبية. فإتفاقنا السياسى على مجموعة من المعانى تتوافق مع تعددية التيارات المختلفة هو اتفاق برجماتى خالص: فنحن نريد أن نستطيع أن نتعايش مع الأخرين بالرغم من عدم اتفاقنا على المستوى الاخلاقى والميتافيزيقى.(١٦)

التعددية كما يصفها "والزر" و"رورتى" مهددة بالارتداد إلى شكل سئ من النسبية، اذا فصلنا معيارنا تماماً عن وقائع العالم، على سبيل المثال يرى "رورتى" أنه ليس هناك تعريف موضوعى "للإنسانية". كما أنه يريد يوضح أن التفرد الإنسانى هو فكرة لا نزال نعمل على الوصول إلى معنى لها . وأدرك "والزر" أن هناك بعض الوقائع عن العالم لا يمكن أن نمحيها ببساطة باحتفال مابعد الحداثة بالإختلاف. ويؤكد أننا ننتمى إلى مجموعات بالرغم من حريتنا الشديدة. ويضيف "فيلا" إلى أنه هناك ملامح كثيرة نشترك فيها بالرغم من اختلافنا. فنحن حيوانات إنسانية نعانى ونحب ونفكر. والتسامح البرجماتى يريد أن يدرك هذه الملامح المشتركة على المستوى الإنسانى الاساسى بدون أن يخبرنا كيف نعانى أو من نحب أوما نفكر به.

خلاصة رأى "فيلا":

الشخص هو الذى ينبغى أن نحترمه حتى اذا كان السؤال حول من أو ماذا يعتبر شخص؟مطروحاً. ويبدو أن هذا هو الذى يصنع حدود التسامح، فنحن نتسامح مع هؤلاء الذين نشترك معهم فى معايير الاختيار الأسياسية، حتى اذا كانوا يطبقوها بشكل مختلف عنا فنحن لانتسامح مع هؤلاء الذين لايشتركون معنا فى هذا المعايير على الأطلاق. ولا نتسامح مع هؤلاء الذين لايحترمون الأشخاص ولايتسامحون مع الآخرين. فهؤلاء سوف يكونون غير عقلانيين بالمعنى الذى قدمه "رولز" حيث أنهم فشلوا فى أن

يصلوا إلى المعايير(ما بين الذاتى) ***Intersubjective*** للإشتراك فى مجتمع سياسى. فبدلاً من التسامح مع عدم التسامح هذا،نعلم هؤلاء الناس لكى يستطيعوا أن يشتركوا فى المعايير الأساسية للإختيار، فى المعنى البرجماتى الأساسى للعقلانية التى يمكن عن طريقه التعبير عن التسامح. وهذا التسامح مهم جداً بالنسبة لمعايير الأختيار التى نتبعها، فهو يربط بين واقع العدد وقيمة التعايش السلمى فى المجتمع السياسى. فهو قيمة برجماتية لأنه يعبر عن محاولتنا تنفيذ الشروط العملية الأساسية للتعاون الاجتماعى بيننا. لايعنى هذا أن تقول أن التسامح بلا أساس أو نسبى بمعنى سئ، بالفعل للتسامح حدود. يتم فرضها من ناحية الطبيعة ومن ناحية قيمنا الإجتماعية المشتركة. فوجهة نظر "لاكاس" عن التعددية تعترف ببعض الاختلاف بالنسبة لقيمنا الإجتماعية، ولكنه يدرك أن بعض الأشياء هى ببساطة وقائع لايمكن الاختلاف حولها. فكما يستطيع المتسامح أن يدين غير المتسامح على عدم تسامحه، يستطيع المؤيد للتعدد أن يقول أن بعض الأشياء خطأ. لا تنكر التعددية أن هناك معاييراً أو مقياساً للحكم. وهذه المعايير تصدر عن اتجاهيين. فمن ناحية يمدنا عالم الوقائع الموضوعية بمجموعة من المعايير، ومن ناحية أخرى تمدنا قيمنا الأخلاقية والسياسية بمجموعة أخرى. فالتعددية تعترف بتقاطع هاتين المجموعتين من المبادئ.

تهدف تعددية "لاكاس" إلى إدراك بعض المرونة فى قيمنا ولكنها ترفض أن تقول أن قيمنا بلا أساس بالكامل. وهو بذلك يعارض النسبية منعدمة المعايير. وبذلك تساعد تعددية "لاكاس" فى توضيح تفاصيل تيار "رولز" عن المعقول.

يقدم "رولز" ***Rawls*** مساهمة كبيرة للبراجماتية، لأن وفقاً لوجهة نظره يستطيع أن يظل مؤيد التعدد ملتزم بفكرة تنمية الإجماع بدون الاستسلام إلى الهزلية الفردية عند "رورتى". من الصحيح من الناحية البرجماتية أن السياسات الديمقراطية الليبرالية هى أفضل دفاع عن التعدد وبعبارة أكثر وضوحاً يعمل التسامح على تحقيق أهداف متعددة لأفراد يصنعوا مجتمعات مختلفة مثل مجتمعتنا.والتسامح البرجماتى يدرك وقائع العالم التى تشتمل على كل من التعدد والرغبة الإنسانية العامة للتعايش السلمى. ونوع التسامح الذى قدمه كل من رولز "لاكاس" هو أفضل طريقة من الناحية البرجماتية للتعامل مع هذه الوقائع .

ويرى "فيلا" أن هذا لا يعنى أن التسامح قيمة أخلاقية ــ كما وضح "رولز"ــ ولكن بالأحرى يكون التسامح قيمة برجماتية وربما يكون أكثر القيم البرجماتية أهمية .

تعتمد السياسات المتسامحة على فكرة أننا ينبغى أن نوافق على السماح لأنفسنا أن لانتفق حول اتجاه حياتنا حول قيم قرارتنا الخاصة. وهذه الحجة المعيارية لاتقوم على حقيقة ميتافيزيقية حول طبيعة الكائنات الإنسانية، لكن على الحقيقة البرجماتية التى توضح أننا نكون قادرين على أن نستمر فى مشاريعنا المختلفة بشكل أفضل اذا كنا متسامحين تجاه بعضنا البعض فالتسامح واقعة اختيارية تدرك الواقعة الموضوعية المتعلقة باختلافاتنا وحاجتنا للتعاون. وهناك الكثير من الطرق يمكن إختيارها لكى نحدد بها أنفسنا بشكل عام وبشكل خاص، ومع ذلك فأن هذا التعدد للحيواة الممكنة مقيد بتعريف عام للخير. هذا المعيار القائم على الاختيار يتضمن احترام الاستقلال الذاتى والتسامح. فهذا المعيار يقر بأننا نعتقد أنه من الجيد لنا أن ندرك اختلافاتنا.

يتفق كل من "رولز" ***Rawls*** "والزر"***Rorty*** و"رورتى" ***Rorty*** و"لاكاس" على هذا الإلتزام بالتسامح. وعبر "لاكاس" عن هذا بشكل وجودى عندما ناقش أنه يجب علينا أن نعترف أن هناك تعددية فى الطبائع الإنسانية. واستنتج أن ادراك هذا التعدد يتحقق من خلال التسامح حيث يقول: "سوف نفهم الناس بشكل أفضل، حتى اذا جعلنا لهم مساحة كبيرة، إلا أننا لن نكون أكثر تقبلاً للتسامح معهم" [١٧]؛ يبدو هذا كأنه مثال ليبرالى نبيل ومع ذلك فانه ليس خالى من المشاكل. وينتهى كتاب "لاكاس" بملاحظة متشائمة بقوله: "لن تكون لاستنتاجاتى أى قيمة على الأطلاق بالنسبة لهؤلاء الذين حددت لهم طبيعتهم طريقة متشابهة للحياة" ويرى "فيلا" هذا كأنه صدى لاستنتاجات "رورتى" حول الليبرالية.والسبب فى هذا التشاؤم والهزلية هو أنه وفقاً للبيرالية "لاكاس" ربما لايكون هناك حدود مشتركة يمكن أن يشترك فيها كل البشر، وبالتالى فى الكون المتعدد ربما يعنى التسامح الاتفاق فيما بيننا على أن نكون متسامحين مع إدراك أننا نعيش فى عوالم أخلاقية مختلفة ، وأننا ربما نلجأ إلى تذكر أقوال "جيمس" عندما ندافع عن التسامح ضد عدم التسامح.[١٨]

يوضح "فيلا" ***Fiala*** أن هذا الاستنتاج يعانى من مشكلة مستمرة بالنسبة لمجتمعنا السياسى. فمتى يجب علينا أن نقاتل هؤلاء أصحاب السلوك الظالم وغير المتسامح والمعاد للمجتمع؟ فليبرالية "لاكاس" تطلب منا ببساطة أن نتجنب هؤلاء قدر الإمكان، لسوء الحظ فأن واقع التعدد يعنى أيضاً أننا احياناً يجب علينا القتال، على الرغم من أن هذا القتال يجب أن يكون موجه بشكل برجماتى نحو هدف التعايش السلمى. ويصل "رولز" على نفس الاستنتاج الحذر مع مراعاة فكرة الإجماع المتضمن الذى قدمها . فالاستقرار الإجتماعى يتطلب إجماع متضمن ، ومع ذلك لاحظ "رولز" أن هناك احتمال أن يفسد الأفراد والمجموعات غير المتسامحة وغير العقلانية هذا الإجماع.يأمل "رولز"***Rawls***: (أن لا تكون تلك المجموعات قوية بما فيه الكافية بحيث تستطيع أن تقوض العدالة ،فهذا أمل ولايمكن أن يكون هناك ضمان) لذلك يكون"رولز" مثل "لاكاس" و"جيمس" يعترف بضعف الاستقرار السياسى، وأن الأمر يرجع إلينا بشكل برجماتى لكى نحقق لأنفسنا الظروف التى تجعل الإجماع والاستقرار ممكنين.

وصلنا فى نهاية النقطة السابقة إلى أن التسامح مرتبط بالتعدد فهل يعنى هذا أن البرجماتى من الممكن أن يكون من أصحاب مذهب التعددية.

البرجماتية والتعددية:

يناقش "تاليس"***R.B.Talisse*** و"ايكين" ***Scott F.Aikin**** مسألة لماذا لا يمكن أن يكون البرجماتى مؤيد للتعددية ***Pluralism****؟ حيث يرى كل منهما أن أى وجهة نظر تستحق أن نطلق عليها "برجماتية" تكون إصلاحية بشكل واسع بحيث تهدف إلى حل الصراعات بواسطة مناهج يمكن أن تكون ذكية وعقلانية ومتفتحة وغير عتيقة، واعتقد كل منهما أن ما يعينه البراجماتى بالتعددية هو: إلتزام مبدأى بعادات محط الأعجاب تتعلق بالآراء والميل والتسامح .والتجربة فى كل نواحى الحياة الأخلاقية والسياسية والعقلية.

* تاليس ، وايكين هما أستاذا جامعة **Indiana**

كما يصرح كل من "تاليس"*Talisse* و"ايكين" *Aikin* أن الهدف من المناقشة التى يقدمها هو معارضة الابقاء على عادة البرجماتى التى تتعلق بتوظيف "التعددية" كغطاء للإلتزامات السابقة. لأن الإلتزامات البراجماتية لا توافق مع وجهات النظر التى يطلق عليها " تعددية". ويرى كل منهما أن عادة البرجماتيين التى تتعلق بتجسيد التزاماتهم كتعددية يترتب عليها الخلط وتشجع على عدم الوحدة. لأن الخلط وعدم الوحدة يمثل عقبات بالنسبة للبرامج الإصلاحية والسياسية والإجتماعية التى تدعمها البرجماتية، ويصل كل من "تاليس" و"ايكين" إلى أن على البرجماتية التخلى عن لغة التعددية.(١٩)

اعترض كل من""سوليفان" *Michael Sullivan* و"ليساكير" *John Lysaker*(٢٠) على أطروحة " تاليس" و"ايكين" فى ثلاث نقاط:

الأولى: أن التعاريف التى يقدمها كل من "تاليس" و"ايكين" لـــ "التعددية" ساذجة وغير مناسبة للأهداف التى يسعون إليها.

الثانية: أن الحجة التى يقدمها "تاليس" و"ايكين" لإثبات أن التعددية السطحية هى تعددية بالأسم فقط غير سليمة.

الثالثة: أن الحجة التى يقدمها "تاليس" و"ايكين" ضد التعددية وتقوم على أساس عدم استقرارها تغفل المشروع البرجماتى .

يرد كل من "تاليس" و"ايكين" على هذه الاعتراضات الثلاثة كالآتى:

أولاً: يرد "تاليس"وايكين" على الاعتراض الأول بأنهما قد اوضحا معنى التعددية عن علاقة التعددية بالبراجماتية وناقشا ان البراجماتية لاتوافق مع التعددية وذلك على مستوى فلسفى أوسع. ووجدا أن هناك تحديا يواجه كل من "سوليفان" و" ليساكير" يتمثل فى تشكيل تعددية برجماتية ليست سطحية ولكنهما لايقوما بشئ لتحقيق هذا.

ثانياً: الاعتراض الذى يتعلق بأن التعددية السطحية تعددية بالاسم فقط ، وأن الحجة التى قدمها كل منهما ليست سليمة، وذكر كل من "سوليفان" *Sullivan* و"ليساكير"*Lysake* أن كل من "تاليس" و "ايكين" كان على خطأ، لأنهم وافقا على أن

أصحاب المذهب الفردى ***Monists*** ربما يمثلون كل المحتوى الأخلاقى والاجرائى للبرجماتية التعددية السطحية. و يرد كل من "تاليس" و"ايكين" بأنهما ذكرا "أفلاطون" و"ديكارت"(١٥٩٦-١٦٥٠م) كأمثلة لأصحاب المذهب الفردى المتسامح.

رضى كل من "سوليفان" و"ليساكير" بأنه بالرغم من أن هؤلاء الفلاسفة ينطبق عليهم المعيار الوصفى للتعددية السطحية. إلا انهم رفضوا فكرة أن يكون كل من "أفلاطون" و"ديكارت" قد التزموا بشكل كافى بالمعيار الإجرائى للتسامح. وأورد كل منهما أمثلة من مؤيدى المذهب "الفردى" انطبق عليهم المعيار الأول ولم ينطبق عليهم المعيار الثانى. وناقشا بوضوح أنه بالرغم من احتمال أن يوافقا على السماح بدخول وجهات نظر مذهب التعددية فى المناقشة العامة، ربما يسعى إلى اضطهاد هؤلاء الذين يؤيدون وجهات النظر المعارضة لوجهة نظره الخصة. كان"سوليفان " و"ليساكير" على صواب عندما اعتقدا أن القمع ليس من اجراءات التسامح، لكن ليس من الواضح ان عملية برهنة أن وجهات نظر الآخرين خاطئة تعد عدم تسامح . وبعد كل ذلك ماهو رد الفعل المتسامح المناسب للخلاف الشديد؟ يتسائل كل من "تاليس"***Talisse*** و" ايكين" ***Aiki*** هل سيسمح "سوليفان" و"ليساكير" لهؤلاء الذين نختلف معهم فى وجهة النظر أن يكون لهم مكان فى النقاش ولكن لاتقدم نقد لوجهات نظرهم؟ أو أنهما سوف يتمسكا بأن التسامح يتطلب منا أن نوافق؟ بالتأكيد يمكن أن يوجد التسامح فقط عندما يكون هناك خلاف، والتسامح الذى لا يعنى التنازل المتبادل لا يكون تسامح على الاطلاق. ليس هناك عدم تسامح فى اعتقاد أن هؤلاء الذين نختلف معهم على خطأ. ليس هناك فى وجهة نظرنا عن التسامح لايوافق عليه صاحب المذهب الأفلاطونى أو المذهب الديكارتى. لكن ربما تؤدى الفكرة التى تصل إليها من وجهة نظر "سوليفان" و"ليساكير" إلى أنه ليس هناك حالة إيجابية للتسامح قال بها هؤلاء المفكرين؟ ربما يكون هذا صحيحاً لكن لايترتب أى نتائج لأن حالة التعددية السطحية المتضمنة فى المذهب الفردى لاتكون قائمة. وما نجده عند "جون ستيورت مل" فى كتابه عن الحرية "***On Liberty***" عام ١٩٥٩م يعد مثالا على هذا، حيث يقدم "مل" نظرية عن الحرية الفردية على أساس نظرية فردية للقيمة. ومناقشة "مل" تتمثل فى المجتمع الذى يحمى نطاق واسع من الحريات الفردية وهو

الأمر الذى يوجد من خلال تقدير المواطنين للتعدد وهذا يعد أفضل وسيلة للوصول إلى أكبر قدر من قيمة السعادة. وسوف يكون من الصعب أن تذكر اسم مفكر ملتزم بقوة بقيمة التسامح والتعدد أكثر من "مل". ومع ذلك فأنه يعد "النفعية هى السبيل الأفضل لكل الأسئلة الأخلاقية" فـــ "مل" يعد صاحب مذهب فردى جرئ عن القيمة. وبالتالى يرى "تاليس" و"ايكين" أن موقفهما الأصلى يظل قائم وهو أن التعددية السطحية تتضمن فى المذهب الفردى للقيمة وبالتالى لاتكون فى الواقع تعددية على الأطلاق.[٢١]

اتهم "سوليفان" و"ليساكير" كل من "تاليس" و"ايكين" بأن وجهة النظر التى يقدماه عن التعددية السطحية غير المكتملة، بالاضافة إلى القائمة المحددة التى قدمها كل من "تاليس" و"ايكين" للمتطلبات الإجرائية لمشروع التعددية السطحية، وافترض كل من "سوليفان" و"ليساكير" متطلبات اخرى كان لابد أن تضاف، وبالتحديد أن على الفرد أن يبحث عن معيار لحل النزاعات بشكل ملزم. وهذا المتطلب يعتمد على العلاقة الوثيقة بين حتمية المعتقد الفكرى ***Dogmatism*** وعدم التسامح، وهى بوضوح أنه اذا كان المرء عنده رؤية بشكل حتمى فالمرء ملزم بأن يكون غير متسامح تجاه هؤلاء الذين لا يشاركونه هذه الرؤية. ويصرح كل من "تاليس" و"ايكين" أنهما لا يعارضا هذه العلاقة لكن مع ذلك يرى كل منهما عدم وضوح أن السعى إلى حلول ملزمة يجب أن يكون أما حتمى أو غير متسامح. يمكن للمرء أن يعتقد أنه ليس هناك إلا إجابة صحيحة واحدة على الخلاف الأخلاقى، ويبحث عنها، لكن مع ذلك يتخذ موقف قابل للخطا تجاه الاجابات الحالية ويكون على استعداد لإدراك أنه على الأقل على المدى القصير سوف يتم تبرير العديد من المواقف الحصرية. ويحفز هذا الموقف القابل للخطأ هو فكرة أنه عند مواجهة النزاع ينبغى على المرء أن يتقصى الوقائع ، وفى قصة صاحب الموقف اللامعصوم (القابل للخطأ) نجد أن الانفتاح على وجهات نظر متعددة والاستعداد لتأييد الخلاف المتعقل هى كلها أشياء تمثل قيمة متضمنة فى أن مثل هذا المواقف ضرورية للبحث المناسب عن الحقيقة. ووجد "تاليس" و"ايكين" أن "سوليفان" و"ليساكير" اختلط عليهم الامر فإنه ليس البحث عن حلول ملزمة ونهائية للمشاكل هو الذى يولد الحتمية، ولكنه بالأحرى الثقة غير المدعمة بأن الفرد يملك هذه الإجابات. ويمكن توضيح هذا إذا تخيلنا

أن شخص ما اعتقد بشكل غير مدعم أنه يمتلك إجابة نهائية لمسألة ما. هل هو حتمى لأنه بحث عن مثل هذا النوع الإجابات؟ يرى "تاليس" ***Talisse*** و"ايكين"***Aikin*** أنها الثقة غير المدعومة فى نهائية إجابته هى التى جعلته حتمى. بالاضافة إلى أنه بالتحديد العملية المستمرة للبحث عن تلك الإجابات التى تزيف انقاط النهائية والحتمية هى المدانة.

يجد كل من "تاليس" و"ايكين" أن هناك صعوبة إجرائية فى وجهة نظر كل من "سوليفان" و"ليساكير"، وتتضح هذه الصعوبة عندما نسأل سؤال ما هو دور صاحب المذهب التأسيسى الديكارتى فى المناقشة التعددية خلال وجهة نظر كل من "سوليفان" و"ليساكير"، فلن يلتزم صاحب المذهب الديكارتى بمتطلب التخلى عن البحث عن معيار للحل الملزم للتراعات. هل الاقتراح الذى يقمه "سوليفان" و"ليساكير" هو أن نتجاهل أو نستثنى أصحاب مذهب التأسيس ***Foundationalists***[٢٢]؟ ولكن هذا لا يتفق مع المحتوى اللامعصوم (القابل للخطأ) للبرنامج المتعدد السطحى، لأنه ربما يكون الأمر هو أن هناك بعض المعتقدات التى لاتكون مبررة فى الحال. افترض أن بعض أصحاب المذهب التأسيسى قدموا حجة أن هناك مثل تلك المعتقدات وانها تمدنا بنوع المعيار الذى ينكر كل من "سوليفان" و"ليساكير" إمكانيته. هل سيقترح كل منهما أن لا تؤيد تلك الحجج بالتحديد لأننا أصحاب مذهب التعددية؟ أن الاعتراض المقدم لمعالجة رفض الحلول الملزمة يبدو فى ذاته حل ملزم. وهذا الاعتراض مضاد للقابلية للخطأ ونتيجة لذلك يتصل بشكل مضطرب مع المحتويات الأخرى للتعددية السطحية.

نجد أن التحديات الثلاثة التى يقدمها كل من "سوليفان" و"ليساكير" هى أولا: أنهما يدعيان أنه حيث أننا لا نملك سوى (معرفة مسبقة كاملة) للأحداث المستقبلية، فإن توقعنا لنماذج عدم الاستقرار تكون غير مدعمة. ثانياً: أنهما وافقا على عدم استقرار النموذج ليست مقررة حتى الآن للبرنامج لأن اللامعصومين لا يبحثون عن الإجابات النهائية.

ثالثاً: أنهما قد استقرا على أن نقد "تاليس" و"ايكين" للحلول التقيمية لعدم الاستقرار ليست بشكل كافى.

هذا ويؤكد كل من "تاليس" و"ايكين" أن وجهة نظرهما هى أن إلادراك كمطلب أساسى لتأمين السلام (الخيرات الأخرى) تعدى تهديد العدم وهو مطلب لا يمكن تحقيقه للبرنامج التعددى.

يجد "تاليس" و"ايكين" أنه من ناحية إذا لم يلتزم كلا الطرفين فأن دعاوى الإدراك (الاعتراف بالأخر) خارج نطاق النقاش. ذلك لأن السلام الذى قدمه "هوبز" هو بالتحديد نوع السلام الذى لايتم عنده تحقيق هذه الإلتزامات ومن ناحية أخرى الإدراك (الاعتراف بالآخر) ربما يكون قيمة ينبغى على الأطراف أن يمتلكوها. لكن إذا كان هذا هو الحال إذن فهناك بعض القيم للتأييد عندما نواجه تنازع فى القيم. وهذا يؤدى إلى زيف التعددية، وما يترتب على ذلك أن الإدراك (الاعتراف بالأخر) يعانى نقص فى بناءه أو (ذو بناء معيب).

وأخيراً، ينظر كل من "تاليس" و"ايكين" فى النقد الذى وجهه لهما كل من "سوليفان"و"ليساكير" وهو نقد عام بأنهما لا يمدا البرجماتى بحافز كافى لمراعاة ما الذى يعينه غير البرجماتى بالتعددية. لقد وافق كل من "سوليفان" و"ليساكير" أننا لانقول أن الذى يكون فى خطر بالنسبة للبرجماتيين مثل أنهم ينبغى أن ينتبهوا لتوصياتنا أو حتى أن يفكروا فى التخلى عن أسمهم (البراجماتية) لكى يكونوا أكثر إخلاصاً فى النقاش مع أصحاب مذهب التعددية . ويرى كل من "تاليس" وايكين" أن الظروف الاجتماعية والسياسية تدعونا لاستخدام التحليلات المتعددة، وتوضح هذه التحليلات أن النزاعات المعتادة بين الثقافات والديانات، وبين المجموعات العرقية والاقتصادية لايمكن علاجها إلا بواسطة السلطة والجبر. واقتراح أن تلك العملية للبحث الجماعى يمكن أن تساعدنا فى حل هذه النزاعات اقتراح ساذج اذا لم يكن مستبد بشكل متخفى. إذا لم يتم تحدى هذه التحليلات المتعددة اذا كان أصحاب المذاهب المتعددة على صواب إذن فإنه يجب على البرجماتيين أن يتخلوا عن مذهبهم. فالبرجماتيين يحاولون أن يتجنبوا الخطأ ويدعموا ويفضلوا الخيرات، ومن هنا يجب عليهم أن يتناقشوا مع هؤلاء الذين يختلفون معهم. إن البرجماتيين يلتزمون بقيم التفتح والتسامح لأن غاياتهم الاجتماعية تتطلب منهم أن يتخذوا هذه المواقف، وبالتالى ما يبدو أنه فكرة تعددية من ناحية هو فى الواقع مجرد مطلب عملى

لمذهب معارض بشدة للتعددية من ناحية الغايات. كما أن الالتزامات بالتفتح والتسامح لدى البراجماتيين لها أسباب ذرائعية وليست مبررة بنظرية ما عن قيمة أساسية، لكن بالأحرى لأنها وسائل مناسبة لغاية ما، فالبرجماتى لديه مثل هذه القيم لأنه يريد أن يعيش فى مجتمع "ديوى" الديمقراطى.

يرى "إلدريدج" ***Eldridge*** أن كون المرء صاحب مذهب متعدد يمثل جزء كبير جداً من كونه برجماتى ويرى أن معظم الفلاسفة متشككين بشكل كافى ولهم آرائهم الخاصة بحيث يمكننا أن نتوقع أن نواجه إختلاف متعقل فى هذه المهنة. والمرء يكون برجماتيا بقدر كبير لأنه يفتقد الحقيقة واليقين وأصبح يقدر التعدد. ولكى تكون برجماتيا عليك أن تكون مؤيدا لمذهب التعددية(متعدد). وجد "تاليس" أن البرجماتيين ملتزمين بوجهة نظر تتعلق بإمكانية حل الخلافات من خلال بحث تم القيام به. لكن كما "يشير" أن هذه الثقة فى الذكاء الاجتماعى يختلف عليها البعض. فليس هناك اتفاق بين هؤلاء الذين يشتركون فى مناقشات تتعلق بالنظرية الديمقراطية المعاصرة تدور حول ما إذا كان النموذج الذى قدمه "بيرس"أو "ديوى" للبحث فى هذه النظرية ضرورى أو كافى. وبالتالى انتقلت الاختلافات التى لايمكن التخلص منها والتى نجدها عند مؤيد التعددية من كونها جوهرية إلى إجرائية. وبالتالى تبقى التعددية العميقة ،والبرجماتى ملتزم بمنهج يتعلق باختلافات يتم حلها ، وبالتالى لاتتوافق التعددية مع البرجماتية .

يعتقد "إلدريدج" ***Eldridge*** أنه بالرغم من مهارة "تاليس" ***Talisse*** ومعرفته الجيدة بالنظرية الديمقراطية إلا أنه يعتقد أن وجهة نظرة تعانى من مشاكل. ويصرح "إلدريدج" أنه لايعرف ما إذا كان المجتمع على المدى الطويل سيكون متعدد بالمعنى القوى بشكل تام. أو ربما يكون الأمر أن الاختلافات المهمة سوف تظل تصاحبنا دائماً. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أنه سيكون هناك دائماً نزاعات مستمرة حول نفس القيم والممارسات. إذا كان هذا ما تقول به التعددية، فنعم "تاليس" على حق فالبرجماتى يجب أن لا يكون مؤيدا لمذهب التعددية. لكن إذا كان الأمر كذلك فالبرجماتية سيكون أمامها مشكلة فى المناقشة الحالية لأنها ملتزمة بفكرة أن هناك أحياناً حل للخلافات حتى تلك الخلافات التى تبدو الآن غير قابلة للحل.[٢٣]

أن مؤيد مذهب التعددية القوى كما يصفه "تاليس" يقوم بإدعاء حول واقع لايتوفر لدينا الآن. وبالتالى يتشدق باليقين والقبلية وأفكار اخرى يحذر منها البرجماتى. ما الذى نعرفه ونسمعه وأنى أقوم هنا بتأكيد تجريبى أن احياناً من الممكن حل الخلافات السياسية والإجتماعية العميقة. ومع ذلك يتفق "إلدريدج" مع "تاليس" فى معارضة التعددية القوية، لكن السبب الذى لديه يختلف عن السبب الذى يقدمه "إلدريدج". فـــ"تاليس" يشكل فهم متأثر من وجهة نظر "ديوى" للديمقراطية ويتضمن فكره "وجهة نظر مدركة للعالم تتخذ موقف جوهرى ينكره مؤيدى مذهب التعددية القوية حتى أنه يمكن القول بأن المرء لايستطيع باستمرار أن يكون صاحب مذهب قوى يتخذ موقف عدائى تجاه التعددية. ويصرح "إلدريدج"***Eldridg*** أنه يقدر مثال "ديوى***Dewey*** عن الطريقة الديمقراطية للحياة حيث تغمر الديمقراطية أشكال الحياة الخاصة بنا. لكنى لا أطالب أن يكون البرجماتى ديمقراطى بالطريقة التى يقدمها "ديوى". ويوضح "إلدريدج" أن أسبابه لرفض التعددية القوية تتلخص فى ان التعددية القوية هى وضع اهّام وأنها تقدم وصف مشكوك به للحالة الإنسانية يتطلب من المرء أن يعكس الموقف الحالى على المستقبل اللانهائى بالإضافة إلى أنها تحد من ممارسة الذكاء الإجتماعى.

ربما يشترك المرء فى بحث كنشاط لتأسيس الحقيقة لكن كما يعتقد "إلدريدج" أن البحث الذى يقصده "ديوى" كان أوسع من ذلك. انه مجهود لتحويل المواقف الحياتية إلى مواقف تناسب احتياجاتنا عن طريق الاهتمام بعلاقة الظروف بالنتائج المترتبة عليها وأنها موظفة كغايات ووسائل .[٢٤]

يصل "الدريدج" فى النهاية إلى أن المذهب البرجماتى عند "تاليس" أكثر حدة من وجهة النظر التى يقدمها. أن "تاليس" يعتقد أن مذهبه البرجماتى هو المدخل الصحيح لتحديد المعتقدات والسياسات الصحيحة. فى حين أن المذهب البرجماتى العادى والشامل عند "الدريدج"هو مجهود يبذل لتنمية الممارسات المرضية. ويقول"الدريدج": (أنا على استعداد أن يتضمن مذهبى البرجماتى على كل أنواع الناس الذين يطلقون على انفسهم برجماتيين ولكنهم يختلفون مع بعضهم البعض فى موضوعات متنوعة، ولذلك أطلقوا على اسم "البرجماتى المتعدد" ***Pluralistic Pragmatist***) ؛ وبذلك يرى "الدريدج" أن

السبب وراء كونه "برجماتى متعدد" أنه بداخل مجموعة أو مجتمع أو حركة فكرية (اجتماعية) يكون التعدد قوة، فنحن نستفيد من وجهات النظر المختلفة والاهتمامات المختلفة. وذكر "الدريدج" عبارة "ديوى" ***Dewey*** الغنى المنظم" ***ordered richness*** التى قالها عند حديثه الديمقراطية [٢٥]، ووجد انه يجب ان يكون عناصر فى المجتمع مثل القواسم المشتركة الكافية و النظام تربط أجزاء المجتمع بعضها ببعض ؛ لكن القدر الكبير من هذه العناصر ينتج عنه مجتمع راكد (خامل).

يعتقد "الدريدج" أن مذهبه ممكن أن يطلق عليه "تعددية طفيفة" ***Soft Pluralists*** فى مقابل "التعددية القوية" ***Strong Pluralists*** ؛ ويرى مؤيد مذهب "التعددية الطفيفة" أنه ينبغى أن يرحب بالاعتراضات التى يواجهها من هؤلاء البرجماتيين الذين يتحاشون اسم "التعددية" (أو يخشون أن يطلق اسم التعددية).

أهم النتائج التى يمكن أن نقول أن البحث وصل لها هى كالآتى:

- هناك علاقة بين التسامح والتعددية فـــ"لاكاس" وضح أنه يجب علينا أن نعترف أن هناك تععددية فى الطبائع الإنسانية ،واستنتج أن إدراك هذا التعدد يتحقق من خلال التسامح .

- تتضح العلاقة بين التسامح والتعددية فى إطار الفلسفة البراجماتية، حيث يعمل التسامح على تحقيق أهداف متعددة لأفراد يصنعوا مجتمعات مختلفة والتسامح البراجماتى يدرك وقائع العالم التى تشتمل على كل من التعدد والرغبة الإنسانية العامة للتعايش السلمى.

- أن هناك من يرى أن مفهوم التسامح الذى نجده فى البراجماتية ربطها بشكل ما أو بأخر بالتعددية، وذلك لأن مفهوم التسامح يعد مكوناً أساسياً فى فكرة التعددية ، ولكن هناك من يرى أن هذا يهدد وجود مذهب البراجماتية مثل "تاليس"***Talisse***، والبعض الآخر يرى عكس ذلك ويجد أن علاقة البراجماتية بالتعددية لا تهدد وجود مذهب البراجماتية ولكن ربما تمثل شكلاً جديداً من البراجماتية معززة بعناصر التعددية مثل "إلدريدج"***Eldridge*** . وما نجده هو إن فكرة التسامح فى مذهب البراجماتية لاتؤدى

بالضرورة إلى ربطه بمذهب التعددية ولكن ربما تؤكد على وجود قواسم مشتركة بين المذهبين ، وذلك ما نجده بين التعددية والنسبية مثلاً، فالنسبية تشمل فى طياتها نماذج كثيرة من المذاهب الفلسفية ..

هوامش البحث

(1) Good.James A, The "Eclipse" of Pragmatism: A Reply to John Capps, Transactions of the Charles S. Peirce Society, Vol. 39, Published by :Indiana University Press,2003 No. 1 ،pp. 77-86,

"جود" وكابس "هو أستاذا الفلسفة بجامعة أندينا

(2) Capps.John, Pragmatism and the McCarthy Era, Transactions of the Charles S. Peirce Society, Vol. 39, No Published by Indiana University Press,2003pp.61-76
(3) Neil Gross, "Case Studies in the Sociology of Pragmatism," (Ph.D. diss., University of Wisconsin-Madison, 2002), p. 159

"جروس".هو أستاذ الفلسفة بجامعة ويسكنسون

(4) Rorty. Richard, The Shorter RoutledgeEncyclopedia, editedby Craige, Routledge, 2005,p.838,839

(٥) برتراند رسل ،تاريخ الفلسفة الغربية ،الكتاب الثالث :الفلسفة الحديثة،ترجمة :محمد فتحى الشينطى،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠١١،ص٤٠١،

(٦) هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية،ترجمة فتحى الشينطى،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م،ص٣٨٨، ٣٨٩.

* ***Tolerance*** أو مبدأ التسامح هو المبدأ الذى يقول: إذا كان منطق الرياضات يعتمد بشكل تام على الاصطلاح (الاتفاق) فلايمكن أن نقول أن نظام صحيح وأخر غير صحيح . فتفضيل المرء لنظام عن الآخر يعتمد على اعتبارات أخرى فكما يستخدم الاصطلاح فى مجالات (مثل الالعاب والأداب العامة والسلوكيات) يكون هناك مجال لاستخدام التسامح وكانت هذه وجهة نظر "كارناب" ***Carnap*** الذى منح المبدأ اسم التسامح. وهناك مفارقة يطلق عليها مفارقة التسامح ***Paradox of Toleration*** اذا تم التسامح مع غير المتسامح فربما ينتصر لأنه وضع حد للتسامح. لكن اذا لم يتم التسامح معه سيكون هذا ذاته وضع نهاية للتسامح.

Mautner,Thomas,The Penguin Dictionary of philosophy, Penguin Books,1997 ,p567
(7) Fiala.Andrew G, Toleration and Pragmatism,The Journal of Speculative philosophy, New series, Vol.16, No.2,published by Penn State university Press,2002, p.103:114

فيلا هو استاذ الفلسفة بجامعة كليفورنيا

(8) Mill,John Stuart,.On Liberty and other Essays, Oxford world Classics,1998,ch.2
(9) James, William., "On Certain Blindness in Human Beings", Harvard university press,1983,p.149.
(10) Rorty, Richard., Contingency, Irony, Solidarity, Cambridg university press, 1989,p.38
(11) Rawls,John.,Justice as Fairness:A Restatement, Harvard University Press,2001,p3
(12) Walzer, Michael,.Spheres of Justice,Basic Books, New york,1983,p.6
(13) Walzer, Michael,.On Toleration.Yale University Press,1997,p.5

(14) Rawls, John.," Reply to Habermas",. Journal of philosophy,1995,P.139,p.150
(15) Lachs,John., The Relevance of Philosophy to Life, Vanderilt university Press,1995.P.246,P.248
(16) Lachs,John., The Relevance of Philosophy to Life, Vanderilt university Press,1995,P.299,p.300
(17) Lachs,John., The Relevance of Philosophy to Life, Vanderilt university Press,1995.P.253
(18) James,William,.Essaysin Radical Empiricism, Harverd university Press 1976,p43

*التعددية مصطلح واسع يمكن أن يطبق على أى اتجاه يقول بأن هناك أشياء كثيرة أو أنواع كثيرة، واستخدامه الأكثر شيوعاً نجده فى أواخر القرن العشرين ليصف وجهات النظر التى تعترف بمجموعات من المعتقدات أو مجموعة من المعايير التقيمية تكون صحيحة بشكل متساوى وهو بهذا المعنى قريب من مصطلح "النسبية"؛ والمجتمعات يطلق عليها أحياناً اسم "متعددة" بمعنى أنها تتضمن على طرق متنوعة للحياة والمعايير الاخلاقية والديانات والشخص الذى يرى أن هذا ليس مفضل ولكنه يصف الحالة الناسبة للأشياء هو شخص يؤيد التعددية.

Edward craig,the shorter rotledge encyclopedia of philosophy, Routledge Taylor &Francis Gourp ,London and NewYork,2005 ,p814
Blackburn,Simon,The Oxford dictionary of philosophy, Second Revised, Oxford Unversity press,2008,p280
(19)Talisse. Robert B& Aikin.Scott F,Still Searching for a Pragmatist Pluralism,Transactions of the Charles S. Peirce Society,Vol.41,No.1,published by :Indiana University press,2002,p146

(20) Michael Sullivan و John Lysaker هما أستاذا بجامعة "إيموري" *http://www.emory.edu/*

(21) Mill,John Stuart,On Liberty and other Essays,John Gray (ed), Oxford University Press,New York ,1991,p15

(٢٢) *foundationalism* المذهب التأسيسي: هو المذهب الذي يكون بعض أعضائه من العقلانيين الذين يعتمدون على الحدس والاختزال، والبعض الآخر من التجريبيين ــ بالمعنى الواسع ــ ويقبلون الملاحظة والحث أو الاستحواذ أو طرقًا أخرى لتدعيم الاعتقادات بواسطة اعتقادات أخرى، وما يجمع بينهم هو استعدادهم المخاطرة بالقول بوجهة نظر إيجابية حول ما يجعل في العموم اعتقاد مبرر بالطريقة التي تجعله قضية معرفية.

Edward craig,the shorter rotledge encyclopedia of philosophy, p284

(23)Eldridge.Michael,Why a Pragmatist May Be a Pluralist ,Transactions of the charles S.Peirce Society, Vol. 41,No.1,Published by Indiana university Press,2005,
"إلدريدج" هو أستاذ الفلسفة بجامعة شمال كارولينا*p119;122*

(24) Eldridge.Michael,Transforming experience:John Dewey's Culture Instrumentalism,Vanderbilt University press,1998,p.24
(25) John Dewey, The Public and its Problems (Carbondale: Southern Illinois University Press, 1988) LW 2:319